



كانت حماة.. تلك المدينةُ الحالمه.. تعيشُ آمنةً مطمئنةً على ضفافِ العاصي.. تغرسُ فيها الطيورُ بأصواتها العذبة.. وينذهبُ رجالها إلى أعمالهم كل صباحٍ في جدّ واجتهاد.. ويلعبُ الأطفال في حاراتها في سعادةٍ غامرة.. وتجمّعُ نساؤها في صباحياتهم يشربن القهوة ويتبادلن أطرافَ الحديث الذي لا ينتهي.. ويهبّ النسيمُ بلطفي وحنانٍ يداعبُ أحلامَ الفتيان والفتيات وخيالاتهم.. وتدورُ النواعيرُ منذ آلاف السنين شاهدةً على حضارة هذه المدينةِ العريقة.. التي تُعد من أقدم مدن العالم.. وتدور لتسقي المزارعَ والحقول..

كانت الحياة طبيعيةً لا ينزعجها شيء.. وكان الحمويون كعائلة واحدة.. يعرفُ بعضُهم ببعضًا.. ويحرصون على القيام بشؤون بلدتهم بأنفسهم.. فهم يحبونها.. ويفدونها بأرواحهم وأموالهم.. ويضحّون بالغالي والنفيس من أجل أن تبقى هذه المدينةُ في شبابِ دائم رغم أنها قديمةٌ قدم التاريخ.. ولكنهم لم يعلموا ماذا تخبيء الأيام لهم.. لم يعلموا أن فرحتهم سيفتالها المجرمون.. لم يظنوا أنهم سيرونَ هذه المدينةَ تصبحُ أنقاضاً.. والبيوتُ ستتصبحُ خاويةً على عروشها تنادي أهلها الذي هجرواها وتئنُ على فراقهم.. لم يظنوا أنهم سيسمعونَ النواعيرَ تبكي لأول مرة على فقدانِ أهلها وأحبّتها.. لم يتوقعوا أن يصل الإجرام حدّاً يجعل مدينتهم مستباحةً للوحش الضاربة..

ربما تناول المؤرخون ما فعله التتار والمغول في بلاد المسلمين حينما احتلوها.. وربما تحدثوا عن حقد الصليبيين وممارساتهم ضد المسلمين في حروبهم.. ولكن ماذا سيكتبون عن المجازرة الرهيبة التي حدثت في حماة عام 1982 م.. بل هي مجازر قتلت على أكثر من نصف سكان المدينة.. وتركتهم ما بين شهيد أو جريح أو معتقل أو مفقود أو مهجّر.. كيف سيفصفون الحقد الذي كان يقود سرايا الدفاع بقيادة المجرم رفعت الأسد وتحت إشراف ورعاية المقبور حافظ الأسد.. حين كانوا يُطلقون وحوشهم فينهشون فيها ما شاؤوا أن ينهشوا من براءة الأطفال.. ويقهرون الرجالَ فيعذبونهم أو فيقتلونهم.. ويستبيحوا أعراض النساء.. حتى إذا سألتَ أي بيت عن خسارته لوجدته مفجوعاً بشهيد أو معتقل أو مهجّر أو مفقود.. هذا غير البيوت التي تم القضاء على كل أهلها.. فلن تبقَ إلا جدرانهم تبكيهم..

كانت المجازرة تُركب في حقِّ أهل حماة.. وفي حقِّ المدينة نفسها.. فقد دمرّوا المساجد والكنائس.. وهدموا الأحياء والمعماريات فوق رؤوس أصحابها.. لم يسلم منهم شجرٌ ولا حجر.. حتى وصلت إحصائيات القتلى خلال 27 يوماً إلى 40 ألفَ شهيد.. ارتفعوا إلى بارئهم ليشكوا ظلم العبيد الذين نصّبوا أنفسهم حكاماً على رقابهم وحياتهم.. يشكونهم إلى الله الذي يسمعُ ويرى.. ولا تخفي عليه خافية..

لقد تحولت المدينة إلى عروشٍ خاوية.. وانتشرت رائحة الدمار في كلّ مكان.. وارتفع دخانُ الحرائق ليلامسَ عنانَ السماء.. وارتحلُ الجميعُ منها يلوذون بأرواحهم وأرواح أهليهم من آلة القتل والتنكيل.. ولم يبقَ فيها سوى الجثث الهامدة.. وانتشرت رائحة الموت.. وعمّ المدينة هدوءٌ مخيفٌ إلا من أصواتِ الرصاصِ والرشاشاتِ والمدافع هنا وهناك.. حتى البكاء لا تكاد تسمعنيه.. لأنَّه يكشفُ عن مكان صاحبه ويعرضه للإيادة.. حتى أصبحتْ في أقل من شهر مدينةً أشباح..

ثلاثونَ عاماً مرّتْ على تلك الكارثة والفاجعة التي لم يتحرّك من أجلها العالم.. ولم ينتفض لها أحد.. فأصبحت الكارثة كارثتين.. أولًا: المذبحة الرهيبة، ثم الصمت الدولي القاتل على حدوث المجزرة.. وكانَ أهل حماة قُتلوا مرتين.. مرة بيد قاتلهم.. ومرة بيد من يصفق لهم.. وكأنَّهم لا يواكيّ لهم.. والآن وبعد انطلاق الثورة المجيدة في سوريا.. ومع استخدام آلة القتل والتنكيل نفسها.. ومع ازدياد رقعة الإجرام لتشمل كل أنحاء وطننا الحبيب.. علمَ أهلاًنا أنه لا بدَّ من التخلص من هذا النظام المجرم.. وأيقنوا أنَّ ما حصلَ في حماة كان شيئاً يفوقُ الوصفَ من الفظائع التي ارتكبها أزلامُ هذا النظام الفاجر.. وعلموا أنَّ أهل حماة كانوا يُقتلون وتُنتهك حرماتهم دون أن يشعرون بهم أحد.. وكانوا يموتون بصمتٍ دون أن يسعفهم أو ينقذهم أحدٌ من بطشِ الظالمين.. وأنهم كانوا يطفئون عطش القاتل ليحموا بقية المدن الأخرى من بطشه..

والاليوم.. وبعد هذه الأعوام الثلاثين.. نهض شعبُ حماة.. بل نهض كلُّ شعب سوريا.. بهدف التخلص من هذا الظلم الواقع عليهم.. بعد أن علموا أنه لا بقاء له بينهم.. ولا حياة هائنةً لهم إلا بالقضاء على الدكتاتورية التي أفرقت البلاد والعباد.. وحوّلت البلاد بعد أن كانت مكاناً يهوي إليه الناسُ من كل مكان.. فجعلت أهلها يغتربون في البلاد والأقصى يبحثون عن رزقهم الذي لم يجدوه في بلد़هم..

أما أنتم أيها المجرمون.. لقد أمهلكم الله ثلاثينَ عاماً.. وما زلتُم في غيّركم وظلمكم وضلالكم.. وظننتُم أنكم وأدتم إرادة هذا الشعب.. فخرج لكم بدل المدينة عشرات المدن.. وببدل المئة ثائر خرج لكم مئات الآلوف من الثوار.. أقسموا على أنفسهم ألا يهدأ لهم بال.. ولا يغمض لهم جفن قبل أن يزيلوكم من عروشكم.. فهل حسبتم أنَّ حماة ستُلْدَغُ مرتين؟.. لقد كنتم مخطئين.. إنها الآن ليست وحدها.. لقد هبَّ كلُّ الأحرار في سوريا في وجوهكم.. فهذا جيلٌ جديدٌ تربّى في مدارسكم.. وخدم في جيوشكم.. وتعلم من مبادئكم.. ومنهم من لم يحضر تلك المجزرة.. لكنه ورث عن أهله مقاومة الطغاة.. والصّدّع بالحق.. وسيمضي الزمان.. وستبقى حماة.. وستبقى سوريا.. منارة الحضارة والعلم.. وستذهبون أنتم بعيداً.. ستُصبحون نسياناً.. وسيكمل الشعب الأبيّ بناء حضارة بلاده.. بعد أن أرجعتموها عشرات السنين إلى الوراء.. وإن كان سينذركم أحدٌ يوماً من الأيام.. فسيردف بذكركم اللعنات لتصاحبكم في الجحيم..

المصادر: